

خطب من ية للشيخ عبد القادر بن مولود

جمعها: أ. جمال مرسلي

الجــزء الأوّل



64. من معاني عيد الأضحى

11 ذو الحجة 1380هـ الموافق 26 ماي 1961م

الحمد لله الّذي جعل في تبديل الأيّام تجديدًا للعزائم، وإيقاظًا للعقول في إقامة هذه الأعياد والمواسم، حتّى تكفّ النّفوس والألسنة عن ارتكاب المنكرات والشّتائم، ويكون دين الله في القلوب قائم، وأشهد أن لا إله إلّا الله، أوجد عباده من العدم، وأقام حياتهم على أساس من العدل والنُّظُم، وخصّص المكانة اللّائقة والمقام العالي لأولي الفضل والهمم، وأشهد أنّ محمّدًا عبده ورسوله، الّذي بعثه الله لكافّة الأمم، وخصّه الله بسعة الحلم وفصاحة الكلم، حتّى آمن برسالته جمع غفير من العرب والعجم، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه الّذين قاموا بإصلاح شؤونهم، وتثقيف عقولهم، وتربية الشّعوب من معاصريهم.

أمّا بعد: فإنّ الاحتفال بهذه المواسم، وإقامة هذه الشّعائر الدّينيّة في مواقيتها المعلومة، تشعرنا دائمًا بأنظمة جديدة، وحيويّة توقظ شعورنا وإحساسنا إلى التّأمّل، والنّظر في كنه الحقيقة الّتي تحرّك همم النّاس وعقولهم نحو ما يجري في واقع حياتهم، وذلك إذا نظرنا إلى هذا العيد لم نجد فيه جديدًا يُدخل السّرور على نفوس النّاس، والجذل على قلوبهم، ونستطيع أن نستفهم عنه بقول القائل:

عيد بأيّة حال عدت يا عيد * بما مضى أم بأمر فيك تجديد

غير أنّ الأمر الـهامّ فيه بالنّسبة لظروفنا الـحاليّة هـو إشـعار نفوسـنا بواجـب مقـدّس، وهـو التّضحية والتّفانـي فـي سبيل مـحبّة الله الصّادقة الّتي توجب علينا أن نقـدّم نفوسـنا وأرواحنـا وأبناءنا قربانًا؛ لإعلاء كلمة الله، ونصـرة دينه، ولقد كان أوّل من صدَق فـي هذه التّضحية هـو نبيّ الله إبراهيم -عليه الصّلاة والسّلام- بتقديم ابنه وفلذة كبده قربانًا لربّـه، وامتثـالًا لأوامـره، كمـا قصّ الله علينا ذلك فـي كتابه الكريم: {فَلَمَّـا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَـالَ يَـابُنَيَّ إِنِّـي أَرَى فِـي الْـمَنَامِ أَنِّـي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَـرَى قَـالَ يَاأَبَـتِ افْعَـلْ مَـا تُـؤْمَرُ سَتَجِدُنِـي إِنْ شَـاءَ اللهُ مِـنَ الصَّـابِرِينَ} [الصـافات: 102] إلى آخـر الآيـات، هـذا هـو الإيمـان الصّـادق، والتّضـحيّة الـخالصة، والتّفانـي فـي سبيل الـمبدأ والواجب.

وإذا مرّ علينا هذا الـموسم فإنّنا نتّخذ من هذه العبرة فـي كلّ عام؛ حتّى تتجـدّد فـي أذهاننـا فـي كلّ وقت، ونستطيع بذلك أن نزن قيمة إيمـاننا ومكانتنا فـي كلّ الظّروف الّتي نعيش فيها.

وكذلك نجد معانـي أخـرى تتجـدّد فـي هـذا اليـوم، والـذي لا يسـتحقّه إلّا مـن اسـتنفد مـجهوده، وأدّى واجبه نحو خالقه؛ حتّـى تسـتطيع القلـوب بـذلك أن تتشـارك فـي الفـرح، وتتآلف النّفوس، وأن يتبادل النّاس الـمودّة من أقارب وأباعد، وحتّى يتمّ الغرض الأسمى مـن إقامة هذه الشّعائر الدّينيّة، والـمعاني الأدبيّة والـخُلُقيّة فـي أواسـط الـمجتمعات الّتـي تـؤمن بهذا الدّين، وتقوم على رفعه وخدمته، ونشـر مبادئه، وتطبيقه على الـجوارح والنّفوس.